

صاحب « الكرمل » لم يجد من اللائق نشر تلك القصيدة التي لا يمكن ان توصف الا بالخسة دون رد عليها تطوع لكتابته الشاعر وديع البستاني :

خطاب « يهودا » ؟ ام عجاب من السحر ؟
وتقول الرصافي ؟ ام كذاب من الشعر ،
قريضك من در الكلام فـرأئد
وانت ببصر الشعر أعلم بالصدر
ولكن هذا البحر بحر سياسة
اذا مد فيه الحسق آذن بالجزر
اجل ! عابر الاردن كان ابن عمنا
ولكننا نرتاب في عابر البحر ...

ان هذه القصيدة الطويلة التي اشتهرت آنذاك كثيرا هي في الحقيقة وثيقة سياسية غدة ، فالناقشة فيها لا تسفه الرصافي فحسب ، بل تثبت معطيات سياسية على غاية الاهمية في ذلك الوقت المبكر ، منها ، بالاضافة الى هجرة يهود اوروبا وخطرها ، دور بريطانيا في التجزئة العربية ، ووعده بلفور وآماته ... الخ . وقبل ذلك بفترة وجيزة (في ١٩٢٠/٣/٢٨) كان وديع البستاني نفسه على رأس مظاهرة ، يتودها ويردد امامها نشيدا نظمه بنفسه ، وقد استدعي الشاعر الى التحقيق ، وجاء في ضبط التحقيق الاداري الذي قام به النائب العام :

« النائب العام : وردت بينات على انك كنت مرغوعا فوق الرؤوس ، وانت تقول ووراءك الجمهور : يا نضاري ويا اسلام !
المتهم : نعم
النائب العام : (وقلت ايضا) لمن تركتوا البلاد ؟
المتهم : نعم .
النائب العام : (ثم قلت) اذبحوا اليهود والكافرين ..
المتهم : لا . هذا اخلال بالوزن والقافية ، وما قلته كان مقفى موزونا ، وذا معنى ويتقال له الشعر » (٥٢) .

ان الفترات اللاحقة ستشهد بروزا متعاطفا لدور الشعر على وجه الخصوص ، ليعبر في مختلف المناسبات عما كان يعتدل في صدور الجاهل المغلوب على أمرها ، فحين حضر بلفور من لندن ليشهد احتفال افتتاح الجامعة العبرية في ١٩٢٥ جاء الى الحفلة نفسها احمد لطفي السيد مندوبا عن الحكومة المصرية ، ويقول للشاعر اسكندر الخوري البيتجالي يومها موجها حديثه لبلفور :

من لندن هرولت تضرم نار هذي الواقعة
يسا لورد ما لومي عليك فانت اصل الفاجعة
لومي علي مصر تمد لنا اكفا صافعة(٥٤)
ان ابراهيم طوقان وابو سلمى (عبد الكريم الكرمي) وعبد الرحيم محمود يمثلون منذ بدء الثلاثينات تنويفا لجيش من الشعراء الوطنيين الذين ألهبوا فلسطين طولا وعرضا بالتوعية والتحريض(٥٥) : اسماعيل النشاشيبي ، وخليل السكاكيني ، وابراهيم الدباغ ، ومحمد حسن علاء الدين ، وبرهان العيوشي ، ومحمد خورشيد ، وقيصر الخوري ، والخوري جورج بيطار ، وبولس شحاده ، ومطلق عبد الخالق . الخ . وفي رؤى هؤلاء الثلاثة ، طوقان والكرمي ومحمود ، قدرة خارقة على استشفاف ما كان يحدث ، لا يمكن تفسيرها الا بانها استيعاب عميق لذلك الذي كان يحدث في اوساط الجماهير . ان ما يبدو في تصانده هؤلاء الثلاثة وكأنه نبؤة لا تفسير لها ، وتكهن يشبه الرجم بالغيب ، ليس في الحقيقة الا قدرتهم على التمييز عن هذه الملامسة الجدلية التي كانت تربط نتاجهم الفني بحركة المجتمع .

يقول ابراهيم طوقان مثلا تعليقا على انشاء « صندوق الامة » عام ١٩٣٢ لانقاذ اراضي فلسطين من البيع لليهود (وهو الصندوق الذي انشأته وقتذاك القيادة الانتدابية - الاكبريكية بحجة عدم تسرب أرض فقراء الفلاحين الى اليهود) : « ان ثمانية من القائلين على مشروع صندوق الامة كانوا سمسارة على الاراضي لليهود » :

حينذا لرو يصوم بنا زعيم
مثل غاندي عسى يفيد صياحه
لا يصم عن طعامه ، في
فلسطين يهوت الزعيم لولا طعامه
ليصم عن مبيعته الارض يحفظ
بقعة تستريح فيها عظامه(٥٥)

(٥٦) يقول توفيق زياد ، شاعر المقاومة في فلسطين المحتلة (الناصرة) : « ان شعرنا الثوري (محمود درويش ، سبيع القاسم ، وانا) هو امتداد للشعر الثوري الذي أنشده ابراهيم طوقان وابو سلمى وعبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق وآخرون ... لان معركتنا هي امتداد لمعركتهم » (عن الادب الشعبي - دار العودة ، ص ١٤) .